

نقيشة الملوك النوميديين السيرية

— دراسة لغوية تاريخية —

أ/د غانم جامعة منتوري — قسنطينة

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم التاريخ والآثار

مقدمة

بوصول الفينيقيين إلى غربي البحر المتوسط وتأسيسهم لمستوطناتهم الفينيقية الباكورة — أوتيكا وليكسوس — ثم الدائمة — قرطاجنة — وحضرموت — سوسة — تدخل منطقة المغرب القديم الفترة التاريخية بفضل الكتابة التي جاء بها هؤلاء القوم.

وقد تمثلت الكتابة المشار إليها من حيث الجانب الباليوغرافي في paléographie في الحروف الفينيقية الأولى ذات الشكل القزمي والعمودي في كثير من الأحيان، وكذا الحروف البونية ذات الشكل الممتد المائل الجميل الذي تعاملت به قرطاجنة مع مستوطناتها في غربي البحر المتوسط والعالم الخارجي، ذلك منذ القرن السادس قبل الميلاد. وكذا الكتابة البونية الجديدة التي شرع في التعامل بها بعد تدمير مدينة قرطاجنة سنة 146 ق.م.

وهكذا فقد ترتب عن تعامل الفينيقيين مع المغاربة القدماء داخل بلادهم أن تسربت كتابتهم وديانتهم السامية إلى المناطق الداخلية من شمال إفريقيا، لا سيما تلك التي نشأت بها حواضر تعامل فيها سكانها مع تأثيرات الحضارة البونية القرطاجية.

ويدخل ضمن ذلك التأثير الحضاري ما عثر عليه في سيرتا النوميديّة من نقوش نذرية اكتشفت بمعبّد الحفرة كان قد وصل عدد نصبها ما يقارب الألف

1000 نصب حجري يحمل الكثير منها زخرفة رمزية ذات كتابة بونية وبونية جديدة ثم اغريقية ولاتينية⁽¹⁾.

ولعل أول من حاول القيام بفك رموز النقوش البونية والبنونية الجديدة Neo-punique القسنطينية هو «الأب كاهن» Cahen الذي قام بدراسة حوالي 32 نصب منها وكان ذلك سنة 1878م، وقد نشرت أعماله في مدونة النقوش السامية Cis، وكان الباحث الفرنسي «ج. بوسكو» قد أشار إلى أن مرتفع الحفرة يحمل عدة تسميات منها: الرابطة القديمة وجبانة الغربية ثم طريق الأقواس الرومانية والفج الذي يفصل بين جنان وقسنطينة القديمة.

وتبدو الملامح العلمية لمحتويات معبد الحفرة البوني في تلك المكتبة العلمية المكتشفة التي تمثلها النصب المكتوبة والمزخرفة التي عثر عليها مطمورة في أرضية المعبد، وكثيرا ما تتسم نصبها برسوم رمزية غالبا ما تمثل الإشارة إلى الآلهين «بعل حمو» و«تانيت بني بعل» قرينته. وكثيرا ما يظهر في النصب رمز الآلهة تانيت يتوسط اليد المبسوطة إلى الأعلى والصولجان، إضافة إلى قرص الشمس والهلال وبعض رموز الأسلحة والحياة اليومية.

لقد درست نصب الحفرة الثانية التي اكتشفت فيما بين السنوات (1950-1955) من قبل الباحثين الفرنسيين «أ. بيرتير» A.Berthier ولابي شارليي «L'Abbé Charlie».

يأتي ضمن النصب المشار إليها، ذلك يحمل حقل كتابة بونية أسميتها بنقيشة الملوك النوميديين، فهي جديرة بالاهتمام والدراسة، إضافة إلى أنها تقدم معلومات حول الأمراء والملوك النوميديين، ففيها يجتمع ذكر أبناء ماسينيسا الثلاثة وفقا لميلادهم: «مكوسن» و«غلوسن» و«مستنعبو»، كما أنها تحدد تاريخ بداية

(1) كانت أول إشارة إلى معبد الحفرة البوني المتواجد على الضفة اليسرى لوادي الرمال بأعالي «جنان الزيتون» هي تلك التي قدمها الدكتور روبوسنة 1875، وذلك أثناء استعراضه للأعمال الأثرية التي قام بجمعها الأثري الإيطالي كوستة من مدينة قسنطينة والمتثلة خاصة في بعض النصب واللقي الأخرى، وقد أرسلت جميعها بعد اكتشافها إلى متحف اللوفر بباريس وهي موجودة به حتى وقتنا الحالي، هذا فيما يخص الحملة الأولى أما اكتشافها التنقيبية الثانية التي جرت فيما بين السنوات 1950-1955، فقد أودعت نصبها بمتحف سيرتا بمدينة قسنطينة، ثم درست فيما بعد، أنظر-محمد الصغير غانم، النقوش البونية في الجزائر، مجلة نشأة الكتابة في البلاد المغاربية، الدار البيضاء، المغرب الأقصى للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، 2004، ص ص. 17-20.

حكمهم، وتشير بعد ذلك إلى نوعية الحكم (هـ م ل ك ت) أي المملكة ثم الملوك أو الأمراء.

هذا ويستفاد من المصادر الكتابية والمادية، أنه عندما أحسّ ماسينيسا في بداية سنة 148م. بشدة المرض بعث يستحضر من قرطاجة القائد الروماني «سبيون أميليانوس» Scipion Amilianos ليشرف على تفرقة التركة، غير أنه عندما حل القائد الروماني بمدينة سيراتا كان الملك النوميدي قد لفظ أنفاسه قبل ذلك بيومين، وقد أوصى ليستجيبوا لرغبة القائد الروماني في تنظيم شؤون المملكة حتى يحافظوا عليها⁽¹⁾.

لقد أبعد سبيون من وراثة العرش أبناء ماسينيسا غير الشرعيين وبذلك انحصر الحكم في أبناء الملك الثلاثة وهم: مسيسا (مكوسن) وجلوسة (غلوسن) ومسطنبعل (مستنبعل)⁽²⁾ كما أسند لكل واحد من الثلاثة لقب ملك⁽³⁾.

هكذا نرى أن هناك اتفاقاً في تسمية أبناء ماسينيسا الذي أوردته النقيشة وما تشير إليه المصادر الكتابية، مما يرجح بأن الإطار الزمني لبداية نقيشة الملوك النوميديّة السيرتية هو سنة وفاة الملك ماسينيسا، التي نقدمها للقارئ الكريم كما وردت على لوح الكتابة للنصب الحجري الذي عثر عليه في معبد الحفرة البوني⁽⁴⁾.

- تحليل ودراسة النقيشة :

- وصف النصب الحامل للنقيشة :

مكان الاكتشاف : معبد الحفرة بقسنطينة 1950.

مكان الحفظ : متحف سيراتا .

(1) J-Fridrik, phonizich gramatika (Anelecta orientalia, 32) Rome, 1951, p.170.

ومن جهة أخرى، فإن كلمة التي أعطب هنا معنى-أبدة كارية- أو أعطية نذرية، وذلك لارتباطها بفعل -طن ا- الذي يحمل معنى - شيد أو بني أو نحت- .

Abbé Chabot, Punique dans j.A . 1918, p.269

(2) A. Berthier , Op. Cit; pp.57-58

(3) محمد الصغير غانم، نقيشة دوقة الأثرية، مجلة العلوم الانسانية، ع.10، 1998، ص.ص.101-112.

(4) J.Fridrich, Op.Cit., pp.2-51.

- ا م ل ك ت : حلت في هذه الكلمة محل الهاء.

أ. د. غانم جامعة منتوري

نقيشة الملوك النوميديين السيرتية

مقاييس النصب: الارتفاع 41.5 سم، الطول 18 سم، السمك 11.5 سم.

مقاييس حقل الكتابة: الارتفاع 7 سم، الطول 8 سم.

المادة: حجر كلسي.

الحالة: جيدة على العموم.

الوصف: نصب مثلث الواجهة، خالي من الزخرفة،

اشتمل حقل كتابته على ستة أسطر لحقه بعض التهشيم من

الأسفل، لكنه لم يؤثر على حقل الكتابة.

- قراءة النص البوني:

1

2

3

4

5

6

- المقابل في الحروف العربية

1- م ت ن ت اش ط ن ا ب ع ل

2- ي ت ن ب ن ش ن ك ل ب ع

3- ر ش م ا ق ل ا ب ع س ر و ع م

4- ش ل ي ر ح ف ع ل ت وش ش ت ح م ش م

5- ش ت ل م ك ن م م ك و س ن و ج ل س ن و

6- م س ت ن ع ب ا م م ل ك ت

- مؤدى النص في اللغة العربية كالآتي:

1- نصب (عطية) أقامه بعل

2- يتن بن شنك لبعل اد

3 - ر لأنه سمع قوله ، في الخا

4 - مس عشر لشهر فعلت في السنة السادسة والخمسين

5 - للملك مكوسن وجلسو

6 - مستنعبوا الأمراء

- تحليل النقيشة : تبدو كتابة هذه النقيشة في بداياتها غير واضحة وهي بذلك تختلف عن بقية النقوش التي سبقتها مما يجعلنا نلاحظ أنه يأتي في :

- السطر الأول من النقيشة :

1 - م ت ن ت ا ش ط ن ا : تركيب نادر في نقوش قسنطينة، ينظر حول هذا الموضوع النصب الذي عثر عليه في مرتفع معبد الحفرة والذي ظهرت دراسته في جدول النقوش السامية (1 . Cis 1544

- السطر الثاني منها :

2 - ش ن ك : « شنك » وجد اسم العلم هذا في النقيشة المزدوجة الثانية بدوقة - 1 Dougga .

- ل ب ع ل د ر : « إلى بعل أدر »، هذا الاسم الإلهي المركب شبيه بما ورد في المجموعة الأولى من النصب الممتدة من عدد 1 إلى 19 وكذا 27 و 42 من كتاب معبد الحفرة بقسنطينة .

- السطر الثالث والرابع منها :

3 - 4 : حلت كلمة - ع م ش - محل - ح م ش - ، بينما في السطر الرابع كتبت بحرف الحاء - ح - .

كذلك يلاحظ كتابة - ش م ا - وق ل ا - في وسط النص وهي في ذلك شبيهة بالنقيشة 61- التي اتبع فيها نفس أسلوب الكتابة التي بين أيدينا 2.

- السطر الرابع منها :

4 : ف ع ل ت وحول اسم الشهر هذا، أنظر النقيشة رقم 57 من كتاب معبد الحفرة.

- السطر الخامس منها :

5 : ل م ل ك ن م : قرئت - ل م ل ك ي - مثلها في ذلك النقوش السابقة لها، بينما قرأ فيفريي « للملكنم » وهي القراءة المناسبة أكثر والمتفقة مع كتابتها. حينئذ يكون لدينا وفقا لهذه القراءة الأخيرة نهاية التصريف الثالث في حالة الجمع بدلا من -ي- التي هي علامة التصريف الثالث في حالة المفرد 3.

إن قراءة - م ك وس ن - رغم الكسر الذي لحق حقل الكتابة، لاسيما يخص حرف الكاف -ك- والواو -و-، فالقراءة مؤكدة. كذلك، فإن قراءة - ج ل س ن - جلوسن-، هي الأخرى مؤكدة وهو الابن الثاني لماسينيسا

- السطر الخامس والسادس منها :

5-6 : وم س ت ن ع ب ا « مسطنبعل » الذي هو الابن الثالث لماسينيسا. وحول هذا الاسم الأخير ينظر - RES 3144

وفي نفس الشيء عند (كوسته) Costa 31 والمدونة السامية 246 وجدول النقوش السامية 227. وحول قراءة هذه الكلمة الأخيرة، يقترح « ج. فيفريي » G.Février « قراءتها - ا م ل ك ا ت - التي تعني « الملوك أو الأمراء » وقد تعني المملكة 1 .

سمع قوله في الخامس عشر لشهر فعلوت، وذلك السنة السادسة والخمسين. ويلاحظ أن - الألف قد حلت محل - العين في كلمة - ش م ا - وكان من المفروض أن يكتب - ش م ع - ونفس الشيء يقال في كلمة - ع م ش - التي حلت - العين - محل - الحاء - ح م ش -، بينما كتبت في نهاية السطر الرابع - ح م ش م - بحرف - الحاء - وهي في حالة الجمع .

- الفائدة التاريخية :

تعد هذه النقيشة هامة للغاية، ذلك لأنها تحمل عدة وجهات نظر، منها أنها تشير إلى أبناء ماسينيسا الثلاثة، وقد رتبت أسماءهم على الشكل التالي: مكوسن، جلوسن، ومستنعبو - مسطنبعل -.

كذلك فإن الإشارة إلى إسم مسيسا تحت مكوسن - م ك وس ن - يتفق في ذلك مع الوثائق البونية والبونية الحديثة التي عرفت حتى الآن وهي :

1 - نقيشة دوقة المزدوجة اللغة بونية - لوبية 2.

2 - النقيشة البونية التي عثر على حجر علامة الحدود بجبل مسوج في شمال مكتر بتونس 3.

3 - النقيشة البونية الحديثة التي عثر عليها في شرشال والتي عرفت بنقيشة مسيسا، وقد درسها الباحث «ج. فيفريي» بالمجلة الآشورية 1951. Revue d'Assyriologie 4 وفي علمنا، فإنه ليست هناك أية إشارة في نقوش أخرى إلى إسم غلوسة- غلوسن- ومستنبعو- مسطنبعل- على أنهما أبناء ماسينيسا، فيما عدا هذه النقيشة التي تعد الوثيقة الوحيدة التي أشارت إلى هذين الإسمين.

ولعل قيمة هذه النقيشة تكمن في التاريخ الذي احتوت عليه والذي يشير إلى سنة 56 من حكم ماسينيسا وهو التاريخ الذي يمتد ما بين السنوات 203- 148 ق.م وهي السنوات التي حكم فيها ماسينيسا نوميديا قبل أن يتوفى سنة 148 ق.م.

ومن جهة أخرى يبدو مفاجئا أن تضم نقيشة واحدة أسماء أبناء ماسينيسا الثلاثة مشتركين دون الإشارة إلى إسم العاهل النوميدي، وأكثر من ذلك تؤرخ لبداية حكمه دون الإشارة إلى اسمه وهو محير؟.

إن سنة 56 لحكم الملوك مسيسا وجلوسن ومسطنبعل⁽¹⁾، تبقى غير واضحة ما لم تستند إلى بداية حكم ماسينيسا، ذلك لأن أبناء المشار إليه لم يحكموا مثل هذا العدد من السنوات ولذلك، فإن السنة السادسة والخمسين تعتبر هي سنة

(1) - توفي غلوسن-غلوسة- ومسطنبعل أبناء مسينيسا في فترة متقاربة -سنتان- بعد وفاة والدهما، وقد حصل خلاف بينهما وبين أخيهما مسيسا الذي استمر يحكم المملكة بعد وفاتهما فيما يخص مواصلة سياسة المجاملة التي انتهجها والدهما اتجاه الرومان. وقد كانت فلسفة مسيسا في الحكم هي أن القوة التي لا تستطيع مقاومتها عليك أن تاجلها حتى تتجنب شرها، محمد الصغير غانم، المملكة النوميديّة والحضارة البونية، 2006 ص 68-71.

وفاة الملك ماسينيسا وبداية حكم أبنائه الثلاثة، وعليه فإن تاريخ النقيشة يعود إلى السنة التي توفي فيها ماسينيسا وتفريق التركة بين أبنائه⁽¹⁾.

في نهاية هذه المحاولة لا بد أن نطرح السؤال التالي : لماذا لم تكن هناك إشارة في النقوش البونية العائدة إلى القرن الثالث قبل الميلاد إلى الملك ماسينيسا ويتأخر ذكره حتى هذه النقيشة العائدة إلى منتصف القرن الثاني ق.م⁽²⁾. ولا يصرح باسمه فيها وإنما ذلك من خلال القرينة التي تشير إلى تولية أبنائه الثلاثة الذي تم بعد وفاة وتحت اشراف القائد الروماني سيبون أميليانوس⁽³⁾.

هل أن فن النقوش الكتابية في سيرتا كان مقتصرًا على الجوانب النذرية فقط ولا يهتم أصحابه بالجوانب الأخرى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في الدولة النوميديّة؟ أم أن قصور الدراسة والبحث في ميدان النقوش الفينيقية-البونية هو الذي جعلنا لا نجد المستمسكات الأدبية والفكرية التي نخدم تاريخنا القديم؟.

أعتقد أن هذا الرأي الأخير قد يكون حليفه الصواب في ظل ما تعانيه المنظومة الأثرية في بلادنا والتي تكاد تتوقف فيما عدا بعض الاكتشافات العرضية التي تخضع للصدفة في كثير من الأحيان.

ومهما تكن الرؤى والاستنتاجات، فإن ما يمكن ملاحظته من خلال هذه النقيشة وكذا تلك النقوش المتعددة التي عثر عليها في نفس الموقع الأثري- موقع الحفرة بقسنطينة- والتي تسبقها زمنيا، هو أن الكتابة الرسمية في فترة الملوك النوميديين كانت هي الكتابة البونية والبنونية الحديثة اللتين تعود جذورهما الباكورة إلى الكتابة الفينيقية الكنعانية - السامية التي كانت منطلقاها الأولى هي شرقي البحر المتوسط وبلاد الشرق القديم بصفة عامة.

أما الكتابة الليبية المحلية التي عاصرت الكتابة البونية في فترتها الأخيرة، أنها كانت كتابة شعبية جنائزية انتشرت في غالب الأحيان خارج المدن والحوضر في تلك الفترة فيما عدا مدينة دوقة الأثرية الواقعة في شمالي غربي تونس والتي

(1) A.Chabot,Punique sans J.A.,1818,I.

(2) F.Decret et M.Fantar,Afrique du nord dans l'antiquité,payot,paris,1981,p,16.

(3) G.Février,l'inscription funéraire de Micipsa, dans revue d'Assyriologie et d'archéologie orientale,T.XLV,1951,pp.139-150.

عشر فيها على نصيين مزدوجي اللغة والكتابة - بونية- ليبية- التي كانت محدودة الانتشار نسبيا، ولا تزال حتى يومنا هذا تعاني قلة البحث والدراسة للاستفادة من نصوصها قصد إثراء تاريخ المنطقة .

حينئذ هل نجد بغيتنا في الترابط التاريخي والوصول للغة والكتابة الليبية القديمتين من خلال دراسة اللهجات الأمازيغية التي يعتقد أنها مستمدة من اللغة الليبية القديمة؟، غير أن اللهجات المشار إليها آنفا بقيت ولا تزال شفاهية أم أن ما نود الوصول إليه وَهْمٌ وأمل بعيد.... إن كل لم يكن مستحيل التحقيق؟، ذلك لأن رموز الكتابة الليبية القديمة لا تزال لم تفك رموز الكثير منها بعد، أو تكتمل قراءتها بعد لا سيما العمودية منها كما أن لغات وكتابات التكنولوجية الحديثة والمغريات المتعلقة بها تقف حاجزا لدرجة أنها

توجه البحث وتثني الانسان في البلدان النامية عن تحقيق آماله وطموحاته حتى ولو تعلق ذلك بتراث أسلافه ، فالإنسان في رأي أصحاب التكنولوجيات والمغريات الحديثة لا يستطيع أن يواصل السير مستقبلا إذا كان وجهه وفكره متجهان نحو الخلف أي إلى حضارة السلف.

بناء على ذلك، فإن كل ما يجري في الساحة المغاربية حول الأمازيغية لا يزيد على أنه ممارسات سياسية أكثر منه ثقافية، قد يكون ضررها أكثر من نفعها على الوحدة الوطنية واستشراف المستقبل الذي نتطلع إليه جميعا في إطار الأمازيغية العربية⁽¹⁾.

(1) -Ahabot(L'Abbé), Note sur l'inscription punique d'une bonrne limitée découverte en Tunisie;B.A.C; 1943,pp.64-67.- Les inscriptions Libyques de la collection Marchand, C.R.A.I.; 1916,17-37.; Recueil des inscriptions Libyques, parie,1940,N02.

- المراجع -

أ- باللغة العربية :

- محمد الصغير غانم :

- المملكة النوميديّة والحضارة البونية ، 2006.

- النّقوش البونية في الجزائر ، مجلة نشأة الكتابة في البلاد المغاربية، الدار البيضاء، المغرب الأقصى للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية ، 2004.

- نقيشة دوقة الأثرية ، مجلة العلوم الإنسانية ، ع. 10، 1998

- محمد حسين فنطر :

- يوغورطة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1970.

* * *

ب / - باللغة الأجنبية :

- (A) - Appain, Histoire romaine, éd.p.Viereck, dans bib,1960.
 (B) - Berthier (A) et Charlier (L'Abbé),
 - Bosco (j) -
 - stèle votive punique d'el-Hofra dans R.S.A.C; T.XLVI,1912,
 (C)- Cahen (l'Abbé) ,
 - Inscription puniques et néo-puniques de Constantine(El- Hofra), recueil de la société arheol De Constantine, T.XIX,1878.
 - Chabot (L'Abbé),
 - punique, dans J.A.I,1918.
 - Note sur l'inscription punique d'une borne limitée découverte e,
 Tunisie,B.A.C; 1943.
 - Les inscription Libyques de la collection Marchand, C.R.A.I.;1916
 - Recueil des inscriptions Libyques, paris,1940.
 (D) - Diodore de Sicile,
 - Bibliothèque, hist; tard; par A.F; Miot , paris, 1934. - XX,38,39 et 55-57.
 - Decret(f) et fantar (M),
 - L'Afrique du nord dans l'antiquité, payot, paris , 1981.
 (F) - Février(G) ,
 - L'inscription funéraire de Micipsa dans revue d'Assyriologie et d'archeologie orientale, T.XLV,1951.
 (G) - Gsell (st),
 (T) - Tite Live ,
 (S) - Strabon géographie,éd. H.J.; Jones, coll.; Ioeb, 1917- 1949.
 (Z) - Zonaras, -IX,27,p.170.

* * * *